جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ

المؤتمر الدولي الأول تحت عنوان : "البعد الإنساني في التراث العربي والإسلامي"
٢٩ من ذي الحجة ١٤٤٢ هـ = الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢١م

دور التراث الإسلامي في البناء الفكري والحضاري للأمة

إعداد
الأستاذ الدكتور
عبد الغني الغريب طه راجح
أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر

دور التراث الإسلامي في البناء الفكري والحضاري للأمة

عبد الغني الغريب طه راجح
قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر

الملخص :

هذه ورقة يدور موضوعها حول الضرورات الحتمية لإدخال التراث الإسلامي في برامج التعليم وخدمة المجتمع؛ كي تنهض الأمة من كبوتها، و يدور منهج البحث فيها حول المحاور التالية:

أولاً: مفهوم التراث الإسلامي، وأهميته في خدمة المجتمع وبرامج التعليم.

ثانياً: مبررات إدخال التراث الإسلامي في برامج التعليم، وهى تتلخص فيما يلى:

١- أن معظم ما يعانيه المجتمع من مشاكل أسرية، مرجعها الجهل بأحكام الإسلام التي قررتها هذه العلوم التي احتواها التراث الإسلامي.

٢- مواجهة البث الإعلامي المباشر، والمحافظة على الهوية الإسلامية.

٣- أهمية هذه العلوم التراثية في بناء الحضارة.

٤- أهمية الدور الريادي للتراث الإسلامي في البناء الفكري والحضاري لهذه الأمة.

ثالثا: خطة مقترحة لإدماج التراث الإسلامي ضمن مقررات برامج التعليم.

خاتمة، تشتمل على أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

الكلمات المفتاحية: التراث الإسلامي – البناء الفكري – الحضارة .

The role of Islamic heritage in the intellectual and civilizational building of the nation

Abdel-Ghani Al-Gharib Taha Rajeh
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Al-Azhar University
E-mail :

Abstract :
This is a paper whose topic revolves around the inevitable necessity of introducing Islamic heritage into education and community service programs. In order for the nation to rise from its stupor, the research methodology revolves around the following axes:
First: The concept of Islamic heritage, and its importance in community service and education programmes.
Second: Justifications for introducing Islamic heritage into education programmes, which are summarized as follows:
1 - Most of the family problems that society suffers from are due to ignorance of the rulings of Islam established by these sciences contained in the Islamic heritage.
2 - Confronting direct media broadcasts and preserving Islamic identity.
3 - The importance of these traditional sciences in building civilization.
4 - The importance of the pioneering role of Islamic heritage in the intellectual and cultural building of this nation.
Third: A proposed plan to integrate Islamic heritage into the curricula of educational programmes.
A conclusion, which includes the most prominent results and the most important recommendations.

Keywords: Islamic heritage - intellectual construction - civilization.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذى أرسى للإنسانية مبدأ التعليم المستمر حين قال سبحانه: " لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً " وقال " وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ "[١] ذلك أن تتابع الرسالات السماوية، وتعاقب الأنبياء والمرسلين، كان يشكل نوعا من التعليم والذى يتغير بتغير الأزمان، والأفكار والناس، ويتطور في المجالات التشريعية والفكرية والحياتية، بما يحقق للبشرية مصالحها[٢]، ولقد أرست الرسالة الخاتمة مبدأ التعليم، حيث أطلقت العنان للعقل البشرى أن ينهل من العلم ما شاء، فالقرآن الكريم حين يقول: " وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً " ويقول: " وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ " إنما كان يشير إلى أن العلم الذى اكتشفه الإنسان، ووصل إليه بمجهوداته ما هو إلا قليل مما يحويه هذا الكون الواسع، ومعنى ذلك أن ما تبقى أمام الإنسان هو كثير وكثير وعليه أن يجهد نفسه لاكتشاف ما يستطيعه منه.

وبذلك يتبين لنا: أن الإسلام ينظر إلى العلم نظرة مطلقة من حدود الزمان والمكان حيث يجعله ممتدا طول حياة الفرد منذ لحظة مولده إلى لحظة وفاته، يسعى إليه في طول الأرض وعرضها حيث يقول الرسول ﷺ: " اطلبوا العلم ولو في الصين "[٣]، والتي كانت تعتبر في صدر الإسلام آخر العالم، كما أنه لم تكن في الصين في هذا الوقت علوم إسلامية مما يؤكد أن طلب العلم في الإسلام مطلق من حدود الزمان والمكان والكيف والكم[٤] وإنما هو غاية مطلقة ونبع لا يغيض.

وربما كان هذا المعنى هو الذى اتفق عليه علماء التربية في تحديد مفهوم التعليم أو التربية المستمرة[٥] أو غير ذلك من الأسماء الحديثة التي تعبر عن فكر ثابت وتوجهات موجودة في التراث الإسلامي.

---

(١) فاطر : ٢٤ .

(٢) العقيدة فى سائر الديانات نزلت من السماء واحدة وهى عقيدة التوحيد والتنزيه ولا مجال للتطور فيها .

(٣) أخرجه بن عدى والبيهقي من حديث أنس، وقال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة .

(٤) راجع كتاب " قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين ص ٣٩٧ للدكتور / سعد الدين صالح وما بعدها دار الأرقم – القاهرة سنة ١٩٩٠م .

(٥) د/ أحمد الخطيب – التربية المستمرة " مفهومها أهدافها مجالتها " مجلة التربية المستمرة العدد الثانى يوليو سنة ١٩٨٠م .

وهذا ما يؤكد لنا أن التعليم هو واجب دينى وحضاري لملاحقة التطورات المعرفية في عالم سريع التغير لا مجال فيه للذين يقفون بأنفسهم عند حدود التعليم النمطي.

وبعـــد،،،

فهذه ورقة يدور موضوعها حول الضرورات الحتمية لإدخال التراث الإسلامي في برامج التعليم وخدمة المجتمع؛ كي تنهض الأمة من كبوتها، و يدور منهج البحث فيها حول المحاور التالية:

أولاً: مفهوم التراث الإسلامي وأهميته في خدمة المجتمع وبرامج التعليم.

ثانياً: مبررات إدخال التراث الإسلامي في برامج التعليم، وهى تتلخص فيما يلى:

١- أن معظم ما يعانيه المجتمع من مشاكل أسرية، مرجعها الجهل بأحكام الإسلام التي قررتها هذه العلوم التي احتواها التراث الإسلامي.

٤- مواجهة البث الإعلامي المباشر، والمحافظة على الهوية الإسلامية.

٥- أهمية هذه العلوم التراثية في بناء الحضارة.

٦- أهمية الدور الريادي للتراث الإسلامي في البناء الفكري والحضاري لهذه الأمة.

ثالثا: خطة مقترحة لإدماج التراث الإسلامي ضمن مقررات برامج التعليم.

خاتمة، تشتمل على أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

وأخيرا نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أ.د/ عبد الغنى الغريب طه
جامعة الأزهر – كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق
قسم العقيدة والفلسفة

مفهوم التراث الإسلامي وأهميته في خدمة المجتمع

أولاً: التراث لغة:

إن أصل كلمة تراث في اللغة مشتقة من مادة (ورث) التي تدور حول "ما يتركه الإنسان لمن بعده"، كما جاء في قوله تعالى: "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا"، وقوله جل في علاه: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا"، وقوله عز وجل: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ".

وقد وردت كلمة التراث في القرآن مرة واحدة بمعنى الميراث في الآية الكريمة: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا" أي تأكلون الميراث لا تسألون أمن حلال هو أم من حرام ؟.

وهكذا فإن كلمة التراث في العربية تعنى الميراث، وهو يشمل المال كما في الآية السابقة، كما يشمل الدين والعلم والهداية – كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم السابق.

وقد أطلق الصحابي أبو هريرة كلمة الميراث على التراث العقائدي والثقافي عندما خاطب الصحابة بقوله: "أنتم هنا وميراث محمد يوزع في المسجد..." فلما انطلقوا إلى المسجد اندهشوا إذ لم يجدوا سوى حلق الذكر وتلاوة القرآن فأوح لهم أبو هريرة: إن هذا هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: التراث اصطلاحاً:

ثمة تعريفات عديدة للتراث نذكر منها على سبيل المثال:

التراث هو: مجموع الماديات والروحيات التي تصاحب الأمة على مدار تاريخها[1].

(١) محمد محفوظ ١٩٩٨: ص١٠٨.

وقيل: التراث هو " تلك الحصيلة من المعارف والعلوم والعادات والفنون والآداب والمنجزات المادية التي تراكمت عبر التاريخ. وهو نتاج جهد إنساني متواصل قامت به جموع الأمة عبر التاريخ، وعبر التعاقب الزمنى أصبحت هذه الحصيلة المسماة التراث تشكل مظاهر مادية ونفسية ونمطاً في السلوك والعلاقات وطريقة في التعامل والنظر إلى الأشياء"(١).

وإذا تأملنا التعريفات السابقة يتبين لنا ان التراث – بإيجاز – هو ما خلفه السلف للخلف من عقيدة وحضارة مادية ومعنوية، ويتصف التراث بما يلى:

١. يعد التراث ركناً أساسياً من أركان الهوية الثقافية للأمة.
٢. يمثل التراث للأمة خزانة الخبرات والعبر التي يجب عليها الاستبصار بها في تعاملها مع حاضرها ومستقبلها.
٣. التراث (فيما عدا العقيدة السماوية) نتاج بشرى، ويحمله بشر (السلف) إلى بشر (الخلف).
٤. إذا كان التراث (فيما عدا العقيدة السماوية) نتاج بشرى، فإنه يتضمن في داخله من الأفكار والأفعال الصحيح والخطأ، السلبيات والايجابيات.

(١) ميمون النكار ١٩٨٦: ص٥٧.

ثالثاً: مفهوم التراث الإسلامي:

مصطلح التراث الإسلامي: هو مصطلح شامل يتسع لكل ما أنتجته الحضارة الإسلامية والمجتمعاتُ المنتمية لها من تراث سواء أكان بالعربية أم التركية أم الفارسية، أم غيرها من لغات اصطنعها المسلمون في صياغة إنتاجهم المعرفي.

والأمر هنا لا يقتصر بالضرورة على الإنتاج المعرفي في العلوم الشرعية وحدها كالتفسير والحديث والفقه ونحو ذلك، بل يتسع ليشمل كل ما خلَّفه العلماء المسلمون عبر العصور من مؤلفات في مختلف فروع المعرفة، وبشتى اللغات، وفي كل بقعة من بقاع الأرض بلغتها دعوةُ الإسلام(١).

أهمية التراث الإسلامي في خدمة المجتمع:

تتبين لنا أهمية العلوم التراثية في خدمة المجتمع حين نحدد سمات وخصائص وأهداف المجتمع الذى نعيش فيه،ولا شك أن المجتمع الذى نعيش فيه هو مجتمع مسلم ومن سماته وخصائصه الأساسية.

- أنه مجتمع يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وفق ما جاء به رسول الله ﷺ.
- كما أنه مجتمع متوازن: أي تتوازن فيه حاجات الإنسان والاستجابة إليها بين المطالب الروحية والمادية معاً دون تغليب لطرف على آخر، أو كبت طرف لحساب الطرف الآخر.

كذلك ويتسم هذا المجتمع المسلم بأنه مجتمع الانضباط وفق المنهج الإسلامى سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الأمة(٢)

وأما أهدافه فهي كثيرة ومتنوعة وأهمها الأهداف الضرورية التي لا يستقيم نظام الحياة دون المحافظة عليها وهى حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسل من أي اعتداء عليها.

---

(١) ينظر: التراث العربي، لعبد السلام هارون ص ٣-٥، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، لرمضان عبد التواب ص ٨، نحو منهج للتعامل مع التراث الإسلامي، لمحيي الدين عطية ص١٥٧ – ١٦١.

(٢) راجع تربة الناشئ المسلم د/ على عبد الحليم محمود ص٢٦ وما بعدها القاهرة سنة ١٩٩٢م.

ولا شك أن المحافظة على تلك السمات وهذه الأهداف لا يمكن أن تتم دون إدخال التراث الإسلامي، والذي يفصل هذه السمات ويوضح كيفية الحفاظ على هذه الأهداف – في برامج التعليم.

فالتعليم الصحيح الموجه توجيها سليما لخدمة أهداف المجتمع هو السبيل إلى خدمة وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

وإذا كان تقدم المجتمع لا يكون إلا بالعمل، فإن العلم لابد أن يسبق العمل فالعلم هو الوسيلة التي تبين لنا كيفية العمل، وبهذا نسير في بناء مجتمعنا على هدى وبصيرة من وحى الله، فلا يحدث صراع أو تصادم بين الناس بعضهم وبعض أو بينهم وبين الكون الذى يعيشون فيه كما حدث في مجتمعات أخرى بعدت عن منهج الله وهداه فزين لهم الشيطان سوء عملهم.

هذا ومن فضل الله علينا أن التراث الإسلامي في مجمله قد استوعبت سائر النشاطات الإنسانية التي يقوم عليها المجتمع سواء منها ما يتعلق بالنظام الاجتماعي أو النظام التربوي أو الأخلاقي أو الاقتصادي بمختلف وسائله وطرقه التنموية أو السياسية.

كما يساهم التراث الإسلامي في بناء المجتمع من زاوية ثانية ألا وهى تهذيب الأخلاق والنفوس عن الصفات الذميمة وإذا كانت الأخلاق هي أساس بناء المجتمعات.

هذا وإن الضبط الأخلاقي الذى يؤدى إلى الضبط الاجتماعى لا يؤتى ثماره لا إذا كان له من العلم الشرعي نصيب، إذ العلم هو الذى يقنع الإنسان بأن هذا واجب وذاك نافع وهذا ضار وذاك ممنوع بل إن خشية الله تبارك وتعالى لا تتمكن من أحد فتوجه سلوكه إلا إذا كان من أهل العلم حتى يقول الله تعالى: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ "(١)

(١) فاطر : ٢٨ .

فالانضباط الأخلاقي والالتزام السلوكي في داخل المجتمع إنما يحتاج من المسلم إلى علم يملأ قلبه وعقله اقتناعا فينعكس على جوارحه أعمالا وسلوكاً[١].

كما تتضح لنا أهمية التراث الإسلامي حين نعلم أنه ليس مجرد علوم دينية فقط كما يظن البعض، بل هو في صميمه علوم دينية ودنيوية، خصوصاً وأن الإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا بل ينظر إليهما على أنهما وجهان لعملة واحدة.

يقول الإمام الغزالي: " إن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة للآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل – لمن اتخذها آلة ومنزلا لا من يتخذها مستقراً ووطنا "[٢].

وإذا كانت مجتمعاتنا في حاجة ماسة إلى العلوم المادية، فإن حاجتها إلى العلوم الشرعية التي احتواها التراث الإسلامي أشد، لأن العلوم المادية لا يستقيم أمرها إذا كانت مجردة من أخلاق الإسلام وقيمه ومثله وإلا وقعنا فيما وقعت فيه المجتمعات التي فصلت بين العلم وبين الدين وخلقت بينهما نوعاً من الصراع الذى لا يعترف به الإسلام حيث ربط بين العلم المادي وبين العلوم الشرعية ربطاً محكماً.

(١) د/ على عبد الحليم محمود – مرجع سابق – ص٢٢ .

(٢) إحياء علوم الدين جـ١ ص١٩ وراجع ص١٦ من خصائص التربية الإسلامية عند الغزالى د/ أحمد عرفات .

مبررات إدخال التراث الإسلامي في مقررات برامج التعليم المستمر

قبل أن نتحدث عن مبررات إدخال التراث الإسلامي في مجال التعليم والتعليم المستمر لابد من الحديث عن نقطة هامة ألا وهى ضرورة التعليم المستمر في حد ذاته.

ضرورة التعليم:

يلاحظ أنه مع بداية هذا القرن قد ظهرت ثورة في المعلومات تتجدد من يوم إلى آخر، وأن هناك تغيراً كمياً وكيفياً متراكماً على حجم المعلومات الموجودة ، وقد وضع هذا الأمر التعليم النظامي في مأزق ، إذ لم تعد عنده القدرة على مواكبة.. كم وكيف المتغيرات المعلوماتية التي تتضاعف – كما يقول أهل الاختصاص – كل ثماني سنوات.

ومن هنا فقيم الشهادات العلمية والدبلومات الجامعية في الوقت الحاضر قد تفقد قيمتها وصلاحيتها في خضم تلك التطورات الثقافية والعلمية ، فإذا لم يجدد حامل تلك الشهادات معلوماته وثقافته بحيث يواكب تطورات العلم في ذات اختصاصه أو في اختصاص آخر يختاره ، فإن شهادته ستفقد قيمتها علمياً وعملياً.

فالحاصل على شهادة علمية في مجال العقيدة مثلاً إذا استمر يردد ما كان يردده القدماء من أدلة وبراهين دون فهم ووعى بما يتبناه الإلحاد العلمى من أفكار وشبهات، فإنه سوف يجد نفسه في مأزق حرج ، وإذا استمر يردد آراء وتاريخ ومعتقدات الفرق العقيدية القديمة التي بادت وانقرضت دون أن يدخل في خضم الفرق والجماعات الحديثة التي تنشطر كل يوم انشطاراً عجيبا وتتخذ لنفسها آراء ومعتقدات جديدة ، فإنه سيجد نفسه بعيداً عن ميدان المعركة يتحدث بلغة غير لغة العصر.

والحاصل على شهادة علميه في الفقه وأحكامه هو الآخر إذا لم يطور معلوماته ويجد في البحث عن حلول جديدة للمشكلات الفقهية المعاصرة سواء في مجالات الاقتصاد والمعاملات البنكية الحديثة أو مجالات الطب.

واستبدال الأعضاء وبيعها وبنوك اللبن والمنىّ – ومشكلات الهندسة الوراثية وغير ذلك ، أقول إذا لم يجدد الفقيه معلوماته في مثل هذه المجالات ، فإنه سيجد نفسه هو الآخر خارج الواقع المُعاش.

أقول إن هذا الأمر ينطبق على سائر المجالات تكنولوجية كانت أو ثقافية أو شرعية.

وفى هذا السياق نجد اليوم مؤسسة كبرى للطاقة الذرية في فرنسا تمنح خريجها دبلومات تنتهى صلاحيتها في مدى خمس سنوات فقط ولتجديد الصلاحية لابد من تعلم جديد، ونجاح معتمد(١).

وهذا ما يؤكد لنا ضرورة التعليم المستمر في سائر مجالات الحياة حتى تتمكن مجتمعاتنا من المشاركة في صنع الحضارة ، إذ لا بد أن يتسلح المتعلمون الكبار بالمهارات المتجددة لمشاركة الآخرين ، وبما أن هذا لا يتحقق للجميع من خلال التعليم النظامي، فإن العلاج الوحيد هو التعليم المستمر الذى يعد اليوم ضرورة حياة(٢).

وأما عن الضرورات التي تدعو إلى اعتبار التراث الإسلامي أحد المحاور الرئيسية في برامج التعليم المستمر ، فإنها كثيرة ومتنوعة ولكننا سنكتفى بذكر **الضرورات الخمس التالية:**

أولاً: أن معرفة المسلم بأمور دينه وشريعته تعد من أول الواجبات التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة أمام الله ومن هنا كان الواجب على المسلم أن يلم ولو بصورة مبسطه بعلوم الشريعة، والتي بدوره يحتويها التراث الإسلامي؛ حتى يفوز بسعادة الدارين وأن الإنسان ليعجب من أناس حصلوا على أعلى الشهادات في العلوم والتخصصات التي تعد من قبيل فرض الكفاية ولكنهم لم يحصلوا أي قدر من العلوم

(١) راجع ص٣ من التعليم المستمر د/ داود ماهر محمد – بغداد سنة ١٩٨٨ .

(٢) راجع ص١٤ من التعليم الذاتى – د/ أحمد عبد الله العلى – الكويت سنة ١٩٨٧.

الشرعية، التي تعد من قبيل فرض العين التي يترتب عليها سعادته أو شقائه في الآخرة حيث الخلود الأبدي.

ومن هنا يقول الله تعالى" " فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ "(١)، ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – " طلب العلم فريضة على كل مسلم "(٢).

كما يقول فيما يرويه الدرامي بسنده عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموه للناس ، وتعلموا القرآن وعلموه للناس فإنى امرؤ مقبوض ، والعلم سيقبض وتظهر الفتن ، حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما"، وهكذا فإن تعلم العلم الشرعي وتداوله بين الناس في المجتمع يعد من فروض العين ولذلك يرى القابسى أن تعليم الولد واجب على والده ، فإن لم يكن له والد كان على حاكم المسلمين أن يقوم مقام والده في ذلك ، وإذا كان الولد في بلد ليس فيهال حاكم كان لك واجباً على أهل الحل والعقد في ذلك البلد من الصالحين ، لأن ذلك من المصالح التي يجب عليهم النظر فيها(٣).

ثانيـاً: إن برامج التعليم النظامي في المدارس والجامعات لا تكفى لصقل الوعى الإسلامي، خاصة وأن ما يقدم للدارسين من خلال مادة التربية الإسلامية لا يغنى عن برامج التعليم في هذا المجال وذلك نظراً إلى أن برامج التعليم المنتظمة تسير وفقاً لخطط عامة تفترض ساعات محدده وترتبط بمساقات أخرى مما يجعل الوقت غير كاف لتعرف المرء على أمور دينيه بطريقة واقعية.

فضلاً عن أن الطالب سواء في المدارس أو الجامعات حين يدرس هذه العلوم إنما يدرسها لمجرد تجاوز المرحلة ، وبالتالي ينسى ما تعلمه في أثناء الدراسة.

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) رواه ابن ماجه من حديث انس بن مالك وضعفه أحمد والبيهقي.

(٣) راجع القابسى فى الرسالة المنفصلة ص٢٩١ وما بعدها وقارن ص١٧ من خصائص التربية الإسلامية عند الإمام الغزالى د/احمد عرفات .

إذاً فمشكلة التعليم النظامى في أن أشكاله ومؤسساته تقليدية ومحدودة ، وهو يقدم تعليماً دينياً نعده الحد الأدنى الذى لا غنى عنه.

أما دراسة العلوم الشرعية التي احتواها التراث الإسلامي من خلال برامج التعليم المستمر فتكون:

أولاً: برغبة ذاتية وبالتالي يعم النفع وتتحقق الفائدة.

وثانياً: ليس هناك تقيد ببرامج جامدة مما يُمكن الدارس من أن ينهل من هذه العلوم كيف شاء ، خاصة وأن التعليم المستمر يعنى امتداد عملية التربية دون انقطاع طول حياة الفرد ، فهو لا ينتهى بانتهاء الفرد من مرحلة تعليمية معينة ، وإنما يستمر باستمرار الحياة وفى سياقها ، فهو ليس دراسة منهجية لموضوعات معدة سلفاً ، بل المتعلم في هذه الحالة هو الذى يقرر متى يبدأ وأى الوسائل يختار[١]. وإذا كانت سيكولوجية تعليم الكبار[٢] تقدر ضرورة اتفاق وقت تقديم البرنامج التعليمى مع وقت الرغبة في إشباع مطلب النمو المهم بالنسبة للكبير في ذلك الوقت بالتحديد[٣].

فإن رغبه المسلم في التعرف على أمور دينه لا تنتهى ولا تقف عن حد ، بل إنه في المراحل العمرية المتأخرة تتأجج تلك الرغبة، مما يؤكد لنا الحتمية الضرورية في إدخال التراث الإسلامي في برامج التعليم المستمر من أجل تنميه الوعى الدينى عند أفراد المجتمع ، وإشباع الحاجات الملحة للمسلم فيما يتعلق بمجالات الدين والحياة.

---

(١) قارن ص٩ من التعليم الذاتى د/ أحمد عبد الله العلى – الكويت سنة ١٩٨٧.

(٢) راجع المجتمع وتعليم الكبار ص٦٠ وما بعدها – ويلبر هالينك وآخرون ترجمة د/ أنيس عبد الملك– القاهرة سنة ١٩٦٨م .

(٣) عرف " لوفوجل " التربية المستمرة بأنها " مفهوم يتضمن الإعداد الشامل للإنسان طبقاً لمسلك تربوى يستمر طوال حياته ويستدعى نظاما يتصف بطبيعته المتنسقة المتوحدة ، ويقدم الوسائل المناسبة التى تستجيب للتطلعات التربوية والثقافية لكل فرد بالشكل الذى يتوافق مع قدراته " كما عرفها الدكتور/ داود ماهر بأنها " استمرارية عملية التربية دون انقطاع من أجل تحقيق آمال الفرد وتنميه قدراته وامكاناته وتمكينه من مواجهة مطالب التغير " راجع ص١٨وما بعدها من كتاب التعليم المستمر د/ داود ماهر محمد – بغداد سنة ١٩٨٨ .

ثالثاً: أن هناك الكثير من المشاكل التي يعانى منها المجتمع والتي قد تكلفه الكثير من الأموال والطاقات لإزالة أثارها ، ومنشأ هذه المشاكل إذا بحثنا في جذورها هو الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية ، وشيوع حالة من الأمية الدينية حتى بين الطبقة المثقفة الواعية

أذكر على سبيل المثال لا الحصر، بعض هذه المشاكل ومنها:

- ❖ المشاكل الأسرية وما يعانى منه المجتمع بسبب كثرة حالات الطلاق، وتعدد الزوجات وإهمال تربية الأبناء وتقصير الرجل في حق أسرته، وتقصير المرأة في حق زوجها مما يترتب عليه تشرد الأولاد وانحرافهم في كثير من الأحيان
- ❖ مشاكل الشباب من الوقوع في براثن الإدمان ، والمخدرات والمسكرات ، أو وقوعهم في مشكلة سوء الفهم للإسلام مما يؤدى إلى التشرد والتنطع والحكم على الناس بالكفر والفسق.
- ❖ مشاكل العمالة والعلاقة بين رب العمل الذى لا يعطى العامل حقه بين العامل الذى قد لا يؤدى عمله بأمانة وإتقان.

أقول: إن معظم هذه المشاكل ، سببها الأساسي قد يكون هو الجهل بأحكام الإسلام في مثل هذه المجالات وبالتالي فحين ندخل العلوم التي احتواها التراث الإسلامي، وخصوصاً العلوم الشرعية منها في برامج التعليم المستمر إنما نقوم بدور أساسي في القضاء على هذه المشكلات بمنعها قبل وقوعها.

رابعاً: مواجهة الغزو الفكري التغريبي ومحاولات فقدان الهوية، ذلك أننا في عصر أحوج ما نكون فيه إلى إيقاظ الوعى الإسلامى تجاه كثير من القضايا ، خاصة وأن المسلم يواجه اليوم بأساليب كثيرة ومتنوعة مباشرة وغير مباشرة ، نحاول أن تفقد المسلم ذاتيته المتميزة وتصهره في بوتقة الثقافة الغربية.

يتم ذلك من خلال القنوات المختلفة التي تقتحم على المسلم بيته ، وتغزوه في عقر داره ، خاصة وأن التكنولوجيا الحديثة قد يسرت هذا الأمر وأصبح البث الإعلامى مباشرة من خلال القنوات الفضائية والإنترنت وغيرها من الوسائل حتى

أصبح التلفزيون اليوم محيطا تربويا، وأصبح هو بحد ذاته هدفا تربويا في حين انحصر الجهاز التربوي الحقيقي – أي المدرسة والجامعة والمسجد– ولم يعد هو المحتكر الوحيد لعملية التربية[1]، ومن هنا كانت الضرورة الحتمية لنشر الوعى الإسلامى من خلال التعليم المستمر حتى نتمكن من توعية الشباب والكبار ومحاولة صد هذه الأفكار السامة والمستوردة من جهل وفراغ فكرى وثقافات مزيفة، وسلوكيات شاذة، وعادات وتقاليد لا تعرفها مجتمعاتنا الإسلامية.

وبما أننا لا نملك إغلاق النوافذ التي تأتى منها هذه الأخطار فإننا لا نملك أكثر من صقل الهوية الإسلامية من خلال برامج التعليم المستمر، حيث يدرس المتلقي – خصائص المجتمع المسلم – ومعالمه، وأساليب الغزو الفكري – كما يدرس سائر التيارات والمذاهب المعاصرة.

وإذا كان هدف التعليم المستمر – كما يقول الخبراء – هو مواجهة المتغيرات الحضارية (اجتماعية كانت أو تكنولوجية – سواء في مجال العمل أو البيت أو المجتمع للتكامل والترابط بين الإنسان وبين البيئة التي يعيش فيها، فإن مجتمعاتنا الإسلامية تتعرض لمتغيرات ثقافية تستهدف فقدان الهوية، وطبعها بالطابع التغريبي سواء في العقيدة أو الأخلاق أو السلوك أو نظام الأسرة وهى متغيرات تكاد تعصف بمجتمعاتنا من جميع جوانبها حيث بدأ التلوث الأخلاقي والتردي القيمي – والاستهلاك الترفيهي، وغير ذلك من السلبيات التي تشيع في مجتمعاتنا.

ولا شك أن كل ذلك يتطلب من القائمين بعملية التعليم المستمر أن يواجهوا تلك المتغيرات المتسارعة والمتلاحقة وذلك بنشر الوعى الإسلامى من أجل الحفاظ على هوية الأمة وقيمها.

(١) راجع ص٤١ من كتاب " البث المباشر وتأثيره فى تكوين السلوك الإجرامى " د/ رضا عبد الحكيم إسماعيل – القاهرة .

التراث الإسلامي وأهميته في بناء الحضارة

إن المجتمعات الإسلامية تحاول اليوم أن تعوض ما فاتها، حيث ظهرت حضارات وتقدمت، ولم يشارك المسلمون في صنعها، بل اكتفوا بمجرد الإعجاب بها والعيش على فتاتها، وها هي المجتمعات الإسلامية تتطلع إلى المشاركة في بناء الحضارة، وعليهم أن يستفيدوا من أخطاء الحضارات الأخرى التي قامت بعيداً عن منهج الله وهداه، وعلى غير علم بحقيقة الإنسان فكانت لها نتائجها المدمرة، حيث انتشر الطغيان والظلم والجشع، واختلال موازين العدالة في نفوس أصحاب هذه الحضارة، فحاولوا استعباد الأمم والشعوب وإذلالهم، والسيطرة على مقدراتهم والتحكم في تصرفاتهم، حتى بتنا لا نملك من أمر أنفسنا شيئا.

وأما عن دور التراث الإسلامي في بناء الحضارة فيتضح لنا حين نعلم أن الحضارة ليست هي التقدم المادي وحده، وإنما لابد فيها من التقدم في الناحية الروحية والمادية معا[١]، وبالتالي فإن أهمية التراث الإسلامي في بناء الحضارة ترجع إلى **اعتبارين هامين:**

أولهما: حفظ الحضارة من الانهيار.

وثانيهما: دفع عجلة التقدم نحو غاية خيرة وهى سعادة الإنسانية.

– أما فيما يتعلق بحفظ الحضارة من الانهيار، فإنه يرجع أساساً إلى أن هذه العلوم التي احتواها التراث الإسلامي تزيل روح الشر من النفوس، وأهم هذه الشرور هو الظلم والعدوان، ومحاولة استعباد الناس، واستغلالهم لمآرب ذاتية[٢].

ولهذا يقول ابن خلدون عن دور هذه الشرور في هدم العمران: " اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالها في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها

(١) راجع ص٢١ من كتاب " التواصل الحضارى والحفاظ على الذاتية – القاهرة سنة ١٩٩٤م للدكتور / سعد الدين السيد صالح .

(٢) راجع بحث " التربية الإسلامية ودورها فى بناء الحضارة الإسلامية " ص٢٩٨ د/ محمد حسانين البطح – العدد العاشر من حولية كلية أصول بالقاهرة سنة ١٩٩٣م .

وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك (....) وتخلوا الديار وتخرب الأمصار، ويختل حال الدولة والسلطان"[١].

ويقول الماوردي: " ليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد في ضمائر الخلق من الجور "[٢].

كما يشير جوستاف لوبون إلى سبب آخر من أسباب انهيار الحضارة وهو الانحطاط الأخلاقي حيث يقول: " ونحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسى تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها "[٣]، ومما لا شك فيه أن التراث الإسلامي بما يحويه من علوم شرعية وأخرى تخدم الدين هي الكفيلة بالمحافظة على الأخلاق من الانهيار، وتزيل من النفوس روح الظلم والطغيان والاستعلاء والاستكبار.

يقول الله تعالى: " تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ "[٤].

وأما فيما يتعلق بدور التراث الإسلامي في تشييد الحضارة ودفع عجلتها إلى التقدم، فإنه واضح من خلال دعوة الإسلام الملحة إلى العلم والعمل والبناء والتنمية واستغلال الثروات الأرضية والبحرية وغير ذلك، وكل هذه الأشياء هي مجرد رؤوس أقلام لموضوعات كبيرة تدرس من خلال العلوم التي اشتمل عليها التراث الإسلامي.

(١) المقدمة بتصرف – الفصل الثالث والأربعون طبعة دار الشعب – القاهرة .
(٢) آداب الدنيا والدين ص١٤١ القاهرة سنة ١٩٧٣م ط الحلبى .
(٣) السنن النفسية لتطور الأمم ص٩٧٢ .
(٤) القصص : ٨٢ .

خطة مقترحة لإدماج التراث الإسلامي ضمن مقررات برامج التعليم

بما أن عملية التعليم ليست مجرد دراسة منهجية لموضوعات معدة ومحددة سلفاً – كما هو الشأن في التعليم المنهجي – فإننا سوف نقترح عناوين عامة لبعض العلوم التي اشتمل عليها التراث الإسلامي – مع الإشارة إلى رؤوس الموضوعات التي يمكن تناولها من خلال هذه العلوم دون الدخول في التفاصيل التي ينبغي أن تترك للدارسين الذين سيجدون احتياجاتهم بأنفسهم بعد عرض رؤوس الموضوعات عليهم.

فقد تكون هناك موضوعات تحتاج إلى الدراسة الرأسية وأخرى إلى الدراسة الأفقية، وعلى الدارس أن يحدد احتياجاته حسب قابلياته، والظروف المحيطة به.

وعلى سبيل المثال: فالموضوعات الفقهية الموجهة إلى مجموعة من الدارسين المتخصصين في الاقتصاد أو المحاسبة من العاملين في البنوك مثلا، سوف تختلف عنها حين توجه إلى مجموعة أخرى من العاملين في مجالا آخر.

كما ينبغى علينا أيضا أن نراعى أمراً آخر عند وضع خطط لبرامج التعليم المستمر **وهو:** مدى حاجة المجتمع إلى هذه الموضوعات، فلا شك أن المجتمع الذى توجد فيه الكثير من المشاكل الأسرية يكون في حاجة ماسة إلى الدراسة الرأسية لموضوعات الزواج والطلاق والحقوق والواجبات بين الزوجين والأولاد، أكثر من حاجته إلى موضوعات فقهية أخرى.

كما أن المجتمع الذى تشيع فيه الجرائم بأنواعها المختلفة من قتل وسرقة وإدمان وغير ذلك، يكون في حاجة ماسة إلى دراسة موضوع الحدود الجنائية في الإسلام أكثر من حاجته إلى أي موضوع آخر.

وهكذا فالذى يحدد طبيعة المنهج المقترح هو طبيعة البيئة وما ينشأ فيها من متغيرات.

وأما العلوم المقترحة للدراسة فهى:

١) العقيدة الإسلامية: ويدرس فيها موضوعات الألوهية، والنبوات، والسمعيات طبقا لمنهج القرآن الكريم مع البعد عن تعقيدات الكتب القديمة.

٢) الفقه: ونقترح دراسة أبواب المعاملات، الجنايات.

٣) المجتمع المسلم: ويدرس فيه خصائص المجتمع المسلم وأهدافه وعناصر بنائه، وكيفية المحافظة عليه.

٤) المرأة المسلمة: وهذه مادة شرعية جديدة نقترحها لدراسة حقوق وواجبات المرأة في الإسلام في مختلف أطوارها، مع الرد على الشبهات التي يطرحها الغرب في مجال المرأة كما تدرس أحكام الزواج والطلاق والحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة.

٥) التحديات التي تواجه الإسلام: ويدرس فيه الغزو الفكرى وأساليبه وكيفية مقاومته – البث المباشر وأخطاره – الإعلام الإسلامي ودوره في مواجهة هذه الأخطار.

٦) أحكام التلاوة والتجويد وحفظ القرآن الكريم.

٧) الحديث الشريف.

٨) الحضارة الإسلامية: عناصرها، كيفية بنائها والمحافظة عليها وكيفية التواصل بينها وبين الحضارات الأخرى.

هذه هي بعض المقترحات العامة لعناوين العلوم الشرعية قد يضاف إليها أو يحذف منها على حسب متطلبات وحاجات الدارسين أنفسهم.

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

بعد هذه الجولة القصيرة حول أهمية دور التراث الإسلامي في بناء الحضارة والوعي الفكري لدى المجتمع المسلم، نخلص إلى بعض النتائج، من أهمها ما يلي:

١. إن التراث الإسلامي لا يقف عند حدود العلوم الشرعية فقط كما يظن البعض، بل إنه يشمل العلوم الشرعية والكثير من العلوم الدنيوية، وأبرزها العلوم العقلية، والتي فتحت أذهان الأوائل وقرائحهم إلى كل ما هو نافع ومثمر للبشرية، وإن المتدبر للتاريخ الإسلامي يجد أن المسلمين الأوائل كانوا أصحاب نهضة وتقدم في شتى مجالات الحياة، بل كان لهم أيادي بيضاء على البشرية جمعاء بما خلفوا من علم نافع.

٢. إن أصحاب النظرة القاصرة الذين يريدون إلجام التراث الإسلامي عن واقع الحياة المعاصرة إنما ينطلقون في نظرتهم هذه من جهل مركب بالتراث وما يحويه من علوم، أو خبث ومكر ينتج عنه حرب فكرية جديدة تسعى نحو هدم المجتمع المسلم، والإجهاض على محاولاته الحثيثة للنهوض مرة أخرى.

٣- إن مناهج التعليم المستمرة من أهم الحلول المقترحة للنهوض بالفكر المجتمعي نحو آفاق جديدة من التقدم والازدهار، ويجب أن تقوم تلك المناهج على أسس واضحة، وأن تعتمد على ما يتلائم من التراث الإسلامي مع متغيرات الواقع، فتكون وظيفة العلماء الانتقاء من هذا التراث الكبير، والذي يحوي الكثير من الحلول لمشكلات وقضايا العصر.

٤- إن التعامل مع التراث باعتباره حصيلة إنتاج العقل المسلم من مختلف الطبقات الاجتماعية والتيارات الفكرية والثقافية من البلدان الإسلامية جميعاً، وباعتباره أيضاً حاضناً لهوية الأمة، يتطلب العمل على إعادة دراسة هذا التراث وتخليصه من شوائبه، وفتح باب الاجتهاد في مجالاته المتعددة، وتوظيفه لخدمة حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، والسهر على إحياء التراث الإسلامي الفكري والفني

والمحافظة عليه ونشره بمختلف الوسائل، وترجمة روائعه إلى اللغات الحية، والتعريف بالثقافة والقضايا الإسلامية المعاصرة من خلال وسائل الإعلام الدولية.

ثانياً: أهم التوصيات:

١ـ ضرورة إقامة مثل هذه المؤتمرات الهادفة، والتي تنحو جهة الإصلاح والتجديد، وضرورة تعظيم المشاركة في مثلها.

٢ـ توجيه الباحثين والدارسين لدراسة التراث الإسلامي، وقرائته قراءة جادة ومتأنية، واستخراج درره الكامنة وكنوزه الثمينة، وصياغة ذلك في ثوب قشيب؛ لمخاطبة العقل الحديث.

٣ـ ضرورة التعاون مع دوائر الفكر وصناع القرار لتعظيم الفائدة من التراث الإسلامي، واستغلاله في حل أزمات الأمة والنهوض بها، فلا يكفي بيان ما يحويه التراث من علاج نافع، وإنما يجب تفعيل ذلك في واقع الحياة.

المصـــادر والمراجـــع

١- قصـة الصـراع بـين منطـق اليونـان ومنطـق المسـلمين " د/ سـعد الـدين صالح – دار الأرقم – القاهرة سنة ١٩٩٠م.
٢- التربية المستمرة – د/ أحمد الخطيب – مجلة التربية المستمرة العدد الثانى سنة ١٩٨٠م.
٣- تعليم الكبار – شكرى عباس حلمى وزميله – القاهرة سنة ١٩٨٢م.
٤- إحياء علوم الدين – الإمام الغزالى.
٥- تربية الناشئ المسلم – د/ على عبد الحليم محمود – القاهرة سنة ١٩٩٢م
٦- التربية الإسلامية عند الغزالى – د/ أحمد عرفات – القاهرة.
٧- التعليم المستمر – د/ داود ماهر محمد – بغداد سنة ١٩٨٨م
٨- التعليم الذاتى – د/ أحمد عبد العلى – الكويت سنة ١٩٨٧م
٩- الرسالة المفصلة – للقابسى.
١٠- المجتمع وتعليم الكبار – ويلبرهانيك وآخرون – ترجمة أنيس عبد الملك – القاهرة سنة ١٩٦٨م.
١١- البث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الإجرامى د/ رضا عبد الحكيم إسماعيل – القاهرة.
١٢- التواصل الحضارى والحفاظ على الذاتية – د/ سعد الدين السيد صالح – القاهرة سنة ١٩٩٤م.
١٣- التربية الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإسلامية د/ محمد حسانين البطح – العدد العاشر من حولية – كلية أصول الدين القاهرة سنة ١٩٩٣م
١٤- مقدمة ابن خلدون طبعة دار الشعب – القاهرة.
١٥- أدب الدنيا والدين – الماوردى القاهرة سنة ١٩٧٣م
١٦- السنن النفسية لتطور الأمم – جوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – القاهرة سنة ١٩٥٠م.